المنهج العلمي لأطباء الموصل في العصر العباسي
(١٣٢ – ٦٥٦هـ / ٧٤٩ – ١٢٥٨م)

د. عبد الجبار حامد احمد
قسم التاريخ / كلية الآداب
جامعة الموصل

الاستلام	القبول
٢٢ / ١١ / ٢٠١٠	٠٩ / ٠٢ / ٢٠١١

Abstract:

Many physicians appeared in Mosul throughout various periods. They had their significant position among physicians of that period for their experience in the field of medicine. This fact witnessed by those who lived in their period. They followed a certain approach in their profession. This is represented by a certain approach in their profession. This is represented by diagnosing the diseases and mentioning the symptoms and treatments. Similarly, they created some medications to be given to the patient; they were conducting surgical operation as well.

Moreover, they used to put forward some medical advices and recommendations for their patients and the newly-coming doctors. On the top of that, they were training their students in a practical way. Likewise, they used to write books about medicine, to explain some other former books, and to rectify some other manuscripts. They have done all these works, but they committed themselves with scientific fidelity as quoting. Finally, they were strictly conservative about the secrets of their patients.

المستخلص:

ظهر في الموصل أطباء عديدون في عصورها المختلفة وكانت لديهم مكانة مرموقة بين أطباء عصرهم لخدماتهم الجليلة في مجال الطب، وقد شهد لهم بذلك من عاصرهم ومن كتب عنهم. وقد تمثل منهجهم العلمي بالاهتمام بتشخيص الأمراض وذكر أسبابها وعلاجها، وكذلك في صناعة الأدوية ووصفها للمرضى، وفي إجراء العمليات الجراحية.

ثم إنهم كانوا يقدمون النصائح والإرشادات الطبية لمرضاهم وللأطباء الجدد، وأيضاً كانوا يحرصون على تدريب طلابهم على مهنة الطب بشكل علمي، كما تمثل منهجهم العلمي في تصنيف الكتب الطبية، وشرح كتب الأقدمين وتصحيح المغلوط منها، إلا أنهم كانوا متمسكين بالأمانة العلمية عند الاقتباس من الآخرين، وأخيراً حفاظهم على أسرار المرضى يعد مكملاً لمنهجهم العلمي.

المقدمة:

من بين العلوم التي نالت عناية علماء الموصل واهتمامهم في العصر العباسي ، علم الطب، نظراً لما يقدمه هذا العلم من خدمة جليلة للإنسان باعتباره أرقى واشرف عالم المخلوقات.

ولذلك فقد ظهر فيها أطباء عديدون وفي عصورها المختلفة سواء الذين ولدوا وعملوا فيها او رحلوا اليها وسكنوا فيها، وكانت لهم مكانة مرموقة بين أطباء عصرهم لما قدموه من إضافات في مجال الخدمات الط بية المختلفة ، وقد انعكست تلك المكانة والأهمية لأطباء الموصل في العصر العباسي من خلال شهادات المعاصرين لهم من الكتاب والمؤلفين ، او من خلال الكتابا ت التي شهدت لهم بالسمو والرفعة . ومن تلك الشهادة التي ذكرت عنهم مؤكدة اهتماماتهم الطبية على سبيل المثال:

ما ذكره ابن ابي اصيبعة ان احمد بن ابي الأشعث (ت بحدود ٣٦٥هـ/٩٧٥م) كان على درجة من العلم وعلو المنزلة والمعرفة الطبية بحيث مكنته تلك المعرفة من الوصول إلى ناصر الدولة الحمداني أمير الموصل الذي قرّبه وأحس اليه، لاسيما بعد ان اثبت تفوقه في معالجة ابنه بعد ان فشل الأطباء في ذلك[١].

أما طبيب الأطفال احمد بن محمد بن يحيى البلدي (نسبة إلى بلد أو بلط أو أسكي موصل الحالية) (ت بحدود ٣٨٠هـ/٩٩٠م) صاحب كتاب "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم " فقد أثنى عليه ابن ابي اصيبعة واصفاً إياه بالمهارة في صناعة الطب والبراعة في العلاج والمداواة[٢].

في حين جاء عن الطبيب عمار بن علي الموصلي (ت بعد ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ان سبب تأليفه لكتابه "المنتخب في علم العين" أنه رأى أطباء العيون في زمنه يجهلون الكثير من وظائف أعضاء العين، كما كانت معرفتهم قليلة بتشريحها و أمراضها، فكانت ع لاجاتهم وأدويتهم لها قد غلبت عليها الأخطاء[٣] مما يؤكد مكانة ذلك الطبيب العلمية بين أطباء عصره أو الذين سبقوه. وابن هَبَل ، مهذب الدين علي بن أحمد، (ت٦١٠هـ/١٢١٣م) صاحب كتاب (المختارات في الطب) من الأطباء المشاهير في الموصل ، وصفه ابن الأثير بأنه : "كان اعلم أهل زمانه بالطب"[٤]، وقال عنه ابن الشعار بأنه : "برع في فن الطب والمداواة وفاق أهل زمانه بالحذق

والصناعة"[٥]، ووصفه ابن ابي اصيبيعة ايضا بأنه : "كان أوحد وقته، وعلاّمة زمانه في صناعة الطب ... وفاق بها أكثر أهل زمانه من الأطباء"[٦]، كما كان الذهبي معجباً به بحيث جعله "من أذكى بني ادم"[٧]، وهو وصف مبالغ فيه يعكس أهمية ذلك الطبيب ومكانته العلمية بين أطباء زمانه.

إن تلك الشهادات التي ذكرت آنفاً وغيرها من الشهادات التي لا يتسع المجال لذكرها جاءت نتيجة نشاطات أطباء الموصل في مختلف مجالات المعرفة الطبية وهي جزء من نشاطات أطباء المسلمين بعامة، تلك النشاطات التي كان لها إسهام واضح في تطور علم الطب في العصر العباسي ومنها:

أولاً: الاهتمام بتشخيص الأمراض وذكر أسبابها وعلاجها

اشتهر أطباء الموصل بمهاراتهم الطبية وحذقهم في مجال تلك الصناعة ، وتمثل ذلك في دقة تشخيص الأمراض من خلال الأعراض الظاهرة عند المريض ثم تحديد أسبابها والعلاج اللازم لها.

فمثلاً نلاحظ أن الطبيب احمد بن محمد البلدي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) قد تطرق إلى الأمراض الجلدية التي تصيب الأطفال موضحاً أسبابها وأعراضها وعلاجها، ومن هذه الأمراض، القروح التي تصيب فروة الرأس عند الأطفال مثل مرض (السعفة) و (العسلية) و (التينية)، ومن أعراض هذه الأمراض – كما يقول – وجود بثور متقرحة تحتوي على ثقوب يسيل منها سائل ، ولكن يختلف كل مرض عن الآخر من حيث شدة خطورته ونوعية علاجه [٨]، كما عني ايضا بأمراض أخرى تصيب الجلد استطاع ان يشخصها بدقة ويعرض أسبابها ثم يذكر العلاج اللازم لها (كالثواليل) [وهي نتوء صلب مستدير يظهر على الجلد ويسمى بالمسامير]، وكذلك الفطريات التي تسبب (السحج) والاحتراق بين فخذي الطفل نتيجة الرطوبة[٩].

وابن هَبَل – المار ذكره – تناول في الجزء الثالث من كتابه (المختارات في الطب) المعالجات الخاصة بأعضاء الإنسان مشخصاً في ذلك الأمراض التي تصيب تلك الأعضاء، ذاكراً أسبابها وأنواعها وعلاجها، بدءاً من أمراض الرأس والدماغ كالصداع و أمراض الأعصاب لما لها من علاقة بالدماغ ، ثم ينتقل إلى أمراض العين والأذن والأنف والفم، وكذلك أمراض الجهاز التنفسي، وأمراض القلب، وأمراض الجهاز الهضمي كالمعدة والامعاء والكبد والطحال ، ذاكراً في كل مرة أسباب تلك الأمراض وعلاجها[١٠] ولا يخفى ان دقة التشخيص تلك عند ابن هَبَل نابعة من خبرته بهذه الصنعة وإتقانه لها واهتمامه بمرضاه وصدق علاجه لهم.

وتظهر دقة التشخيص عند أطباء الموصل من خلال الفحص السريري لتوأمين أرسلهما صاحب أرمينية إلى ناصر الدولة الحمداني بحدود سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م) ولهما من العمر حوالي ثلاثين عاماً وملتصقان من جانب واحد (سميت فيما بعد هذه الحالة بالحالة السيامية نسبة إلى

توأمين ملتحمين من الجانب ، ولدا بسيام ج نوب شرق آسيا سنة ١٨١١م)، فجمع لهما ناصر الدولة أطباء الموصل للنظر في إمكانية الفصل بينهما، وبدأ الأطباء بتوجيه الأسئلة إلى التوأمين كالاستفسار عن أوقات جوعهما وأوقات برازهما ، ثم قاموا بفحصهما سريرياً ، وبعد التدقيق والمعاينة، توصل الأطباء ان لهذين التوأمين جوفاً واحداً ومعدة واحدة وكبداً واحداً وطحالاً واحداً ، كما لاحظوا عدم وجود أضلاع عند منطقة الالتصاق ، فقرروا عدم إمكانية فصلهما ، واذا تم ذلك فسيؤدي بهما إلى الهلاك[١١]. ولا يخفى ان دقة التشخيص تلعب دوراً كبيراً في وصف العلاج اللازم ومن ثم سرعة شفاء المريض.

ثانياً: صناعة الأدوية ووصفها

ترتبط بدقة التشخيص ومعرفة أسباب المرض، وصف العلاج اللازم لذلك المرض ، وهذا يرتبط ايضا بالمهارة الفائقة التي اتصف بها الأ طباء في صناعة الأدوية والمنهج التجريبي المستخدم في ذلك ، فالاهتمام بالإنسان وصحته والعناية بهما يتطلب من الأ طباء ان يجربوا أدويتهم سواء التي صنعوها او اقتبسوها عمّن سبقهم، من اجل إثبات نجاحها في شفاء المرضى ، مما يكون له أثراً ايجابياً على سمعة الطبيب ومكانته من جهة وعلى تطور صناعة الأدوية من جهة ثانية، وعلى فائدة المرضى من جهة ثالثة.

فكان احمد بن ابي الأشعث يستخدم التجربة والقياس في تحضيره ووصفه للأ دوية، فأثناء حديثه عنها يقول : "... فهذا شيء استخرجناه نحن بالفكر والقياس ، تأكد لنا ووضح بالتجربة "[١٢]، وعند حديثه عن الطين الأبيض الموجود في الموصل ومنافعه لبعض الأمراض يقول: "وقد جرّبناه كثيراً في علل شتى ، فوجدناه ع ظيم النفع في الديسانطاريا وقروح الأمعاء وسحجها ..."[١٣] مما يشير إلى انه كان قد استخدم التجربة في تحضير الأدوية مع ثبات فاعليته للمرض الذي وجد من اجله.

ووصف عمار بن علي الموصلي الأدوية النافعة التي يمكن استخدامها لمعالجة العيون وطرق تحضيرها وتركيبها[١٤].

كما كان احمد بن محمد البلدي يستخدم التجربة في الأدوية للتأكد من نجاحها قبل وصفها لمرضاه، فعند حديثه ع ن وصف العلاج لمرضاه يقول : "وما جرّبناه نحن مراراً فوجدناه نافعاً منجحاً ، فإنه لا شيء أوفق ولا ابلغ ولا آمن في حفظ صحته ومداواة مرض ما ، قد شهد له القياس والتجربة بالنجح ..."[١٥]، ويقول في موضع آخر من كتابه : "... جميع ما أنا مستعمله في كتابي هذا من غذاء او شراب او أدوية او تدبير ان يكون القياس له ويكون مع ذلك مما قد جرّب ووثق به ..."[١٦]. وذلو عن دواء استخدمه في علاج القروح التي تصيب رؤوس

الأطفال بقوله: "... فإن هذا الدواء قد امتحن بالتجربة ..."[١٧]. مما يؤكد اهتمام البلدي في إخضاع كل دواء يصفه للتجربة، للتأكد من فاعليته قبل وصفه لمرضاه.

وابن هَبَل خصص الجزء الثاني من كتابه لذكر الأدوية التي تعالج بها الأمراض وحفظ صحة الإنسان، وقد أورد أسماء أدوية كثيرة ومكوناتها حسب الحروف الأبجدية وعرض لكل دواء تركيبه والمرض الذي يستعمل له ذلك الدواء ، وقسم الأدوية إلى مفردة ومركبة ، ثم أنهى الجزء بفصل يتضمن الأوزان الخاصة بتحضير الأدوية[١٨]. وهكذا بقية أطباء الموصل في العصر العباسي حيث استخدموا المنهج نفسه في صناعة الأدوية ووصفها، والكثير منهم صنف كتباً في الأدوية المفردة والمركبة.

ثالثاً: إجراء العمليات الجراحية

إن تشخيص الأمراض يعقبه علاج بالأدوية او تداخل جراحي عن طريق إجراء العمليات الجراحية ، ويبدو ان الجراحة قد نالت عناية أطباء الموصل واهتمامهم في العصر العباسي ، وحققوا بواسطتها نتائج مرضية ، وعالجوا أمراضاً مختلفة كما ورد ذلك في كتاباتهم ن فقد كان عمار بن علي الموصلي يجري عمليات (الساد) – وهو الماء النازل في العين – بنفسه، وأورد في كتابه " المنتخب في علم العين " تشريح العين ووظائفها و أمراضها مع وصف العلاج والمعالجة الجراحية لذلك، وكان يجري عمليات العيون أثناء تجواله ورحلاته في البلدان كالتي أجراها بديار بكر ، كما أشار إلى ذلك في (المنتخب)[١٩]، وايضا قام بإجراء تلك العمليات في دور أصحابها كالتي أجراها في دار شخص يسمى عبد العزيز في أثناء وجوده بمصر [٢٠]، كما كان يصطحب طلابه لغرض الممارسة العملية والاطلاع المباشر عند إجرائه العمليات[٢١].

جدير بالذكر فإن عمار الموصلي قد استخدم آلات جراحية في إجرائه عمليات العيون ، ورد ذكرها في كتابه (المنتخب) كالمبضع و الأنبوب ، كما ان مهارته الفائقة وكثرة تعامله مع الحالات المتعددة والمتنوعة حملته على اختراع أدوات جراحية جديدة كالمقدح – وهو الإبرة او الأنبوب المجوف والمثلث – الذي لم يسبقه اليه احد، كما يشير في كتابه[٢٢].

إن الطريقة التي استخدمها عمّار الموصلي باختراعه الإبرة المعنية المجوفة تختلف كثيراً عن الطريقة الإغريقية، لأن الإغريق لم يستخدموا إبرة مجوفة مصنوعة من المعدن بل استخدموا إبرة صلبة اعتيادية واستخدموا أنبوباً زجاجياً لم يعط نتائج جيدة، فقد كان قابلاً للكسر ، مما يشكل خطورة على عين المريض [٢٣]. وقد شهد بهذا الاختراع طبيب معاصر لعمار الموصلي هو الطبيب العربي الأندلسي ابي القاسم خلف بن عباس الز هراوي (ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) صاحب كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) واعتبر ان هذا النوع من (أنبوب المص) هو معروف في العراق وغير معروف عند الإغريق[٢٤].

وابن هَبَل الموصلي هو الآخر ذكر في كتابه (المختارات) الأدوات الجراحية المستعملة في الجراحة كالمبضع والمنجل والم رود والصنارة والمقص والكلبتان والمثقب والملقط ومفتاح العين ومفتاح الرحم والإبرة والخيط والمقراض وغيرها[٢٥].

رابعاً: تقديم النصائح والإرشادات الطبية

إن أهمية أطباء الموصل وانجازاتهم الطبية لا تقتصر على وصف الأدوية او إجراء العمليات الجراحية ، وإنما يصاحب ذلك تقديم النصائح والإرشادات الطبية لأن (الوقاية خير من العلاج)، كذلك تقديم النصائح والوصايا للأ طباء الجدد لكي تكون بداياتهم صحيحة وناجحة . ويدخل ضمن تلك النصائح والإرشادات، المعالجة النفسية (الطب النفسي) التي وصى بها الكثير من أطباء الموصل.

فقد أكد احمد بن ابي الأشعث في مؤلفاته على وجوب الاهتمام بالمريض ورعايته وتخفيف آلامه للإسراع في شفائه ، وعلى الطبيب – كما يقول – ان يضع هذه الأهداف نصب عينيه بالدرجة الأساس قبل التفكير بالحصول على الأرباح المادية[٢٦].

كما سبق عمار بن علي الموصلي وصاياه للأ طباء الذين يمارسون تطبب العين وأكد عليهم بالتزود بالعلم وكثرة الاطلاع والاهتمام بممارسة التدريب ، وأوصاهم بالجسارة وعدم الخوف في إجراء العمليات، ويجب ان يرافق ذلك العلم والمران ، لأن الجسارة والاندفاع بدون علم ضرب من الجهل التي تؤدي إلى نتائج عكسية غير محمودة[٢٧].

كما أكد احمد بن محمد البلدي في كتابه على العناية بصحة الطفل الجسمية وضرورة الاهتمام بنومه وملابسه وفراشه وتغذيته، كما نّوه بكيفية الاهتمام بصحته النفسية والتربوية[٢٨]، ولم ينسَ في ذلك التأكيد على الرياضة لغرض المحافظة على صحة الأطفال وتحصين أجسامهم من الأمراض التي تصيبهم[٢٩] كما أكد على العناية بالصحة النفسية للطفل ورعايتها والاهتمام بها، وتعليم الطفل منذ الصغر العادات الحسنة عن طريق تربيته التربية الصحيحة لكي يكتسب من خلال ذلك القيم الخلقية العالية[٣٠]، كما اتبع الطريقة العلمية في صقل النفوس وتهذيبها عن طريق استخدام الموسيقى والرياضة فقد لاحظ تأثيراتهما القوية على الطفل منذ الصغر ، ولذلك تستخدم المهود والأسرّة عند نومهم، كما أشار إلى ذلك في كتابه[٣١]. وتلك ملاحظة صائبة ، ذلك أن استخدام الموسيقى والرياضة في تهذيب النفوس ومعالجتها ، تتفق والعلم الحديث فضلاً عن استخدام المهود والأسرّة للأطفال التي ما تزال قائمة، وهي إراحة لنومه وتهدئة لنفسيته.

وفي الوقت نفسه وجه البلدي انتقاداته إلى المُحْدَثين من الأطباء في زمانه ، لأنهم ذكروا أسباباً غير صحيحة للأمراض – في رأيه – فحاول إبطالها بعد أن ناقشها مناقشة علمية ، وذكر الأسباب التي يراها أسباباً حقيقية لحدوثها ، فمثلاً يقول عن الجدري : ((فأما المحدثون فمنهم من قال أن الجدري انقلاب دم الطفولية إلى دم الشباب ... فياليت شعري ... أوليس الدم يتولد في كل

يوم ويجري إلى الأعضاء فيتغذى به ويبقى في الأعضاء المشتركة فينقيه فضوله عنه، فهذا إبطال لما ذكره هذا الرجل))[٣٢].

ويقدم لنا ابن هَبَل طبائع الفصول وميزات كل فصل من فصول السنة وأهميته لبدن الإنسان واثر تقلبات الجو عليه، وكذلك يبين اثر المناطق على الإنسان وصحته ولون بشرته [٣٣]، وهو الآخر أكد على الرياضة وضرورة ممارستها وبين أهميتها بالنسبة لصحة الإنسان وعدّها ركن من أركان حفظ الصحة وتغني عن كثير من الأدوية، وهو يوضح أنواعها كالقفز والعدو مع ذكر الأوقات التي يجب ان تمارس فيها[٣٤].

خامساً: تدريس الطلاب وتدريبهم

لم يكتف أطباء الموصل بالتشخيص والمعالجة وإجراء العمليات الجراحية وتقديم المشورة والنصح، وإنما مارسوا تدريس الطب أيضا من اجل نشر المعرفة الطبية بين أهلها ولتكوين جيل جديد من الأطباء باستطاعتهم مواصلة التطور الطبي وخدمة الإنسانية عموماً، لذلك فقد انبرى أطباء الموصل بهذا الجانب ونشطوا في تدريس وتعليم مهنة الطب ، فضلاً عن التدريب العملي في البيمارستانات مثل البيمارستان المجاهدي الذي أنشأه الوزير مجاهد الدين قيماز (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) في الموصل.

ومن هؤلاء احمد بن ابي الأشعث الذي كان يقوم بتدريس علم الطب بالموصل فضلاً عن معالجته المرضى [٣٥]. ومن تلاميذه ابنه محمد ، وكذلك ابو عبد الله محمد بن ثواب الموصلي الذ ي قرأ عليه علم الطب ، وكان ملازماً له وكتب عنه بخطه كتاب "السرسام والبرسام ومداواتهما"[*] في سنة (٣٥٥هـ/٩٦٥م)، واحمد بن محمد البلدي الذي لازمه مدة طويلة يشتغل عليه حتى أصبح من المتميزين، وجابر بن منصور السكري الموصلي وغيرهم[٣٦].

وابو عبد الهأ محمد بن ثواب ا لموصلي – المار ذكره – فقد مارس هو الآخر مهنة التدريس ، ومن تلاميذه جابر بن منصور السكري الموصلي الذي لازمه وقرأ عليه سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م)[٣٧].

وكان ابن هَبَل (ت٦١٠هـ/١٢١٣م) يدرّس الطب في الموصل في منزله بسكة ابي نجيح[*][*] وكان الطلاب يترددون عليه في منزله وظل كذلك حتى وفاته[٣٨]، ومن طلابه الذين درسوا عليه علم الطب محمد بن القاسم بن هبة الله الحريري ، حيث قرأ عليه كتابه (المختارات) وظل يَدْرس حتى أتقن هذه الصنعة، ثم رحل بعدها إلى بغداد واشتهر بين الناس واخذ يعالج الكثير منهم ويصف الأدوية اللازمة لهم، فظهر له قبول حسن عندهم وذاع صيته بينهم[٣٩].

وكان عمّار بن علي الموصلي، توفي بحدود (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) يصطحب معه طلابه عند إجراء عمليات العيون لغرض تدريبهم من خلال الممارسة العملية والاطلاع المباشر على إجراء العمليات[٤٠].

سادساً: التصنيف والتأليف

يعد تصنيف الكتب الطبية من قبل أطباء الموصل من أكثر الأعمال التي قام بها أولئك الأطباء – لأن تلك الكتب هي الوسيلة الرئيسة لنقل العلم والمعرفة عبر الأجيال، وهي التي تحفظ نتاجاتهم العلمية ، وفيها الاستشارات والنصائح وتشخيص الأمراض ووصف الأدوية والمعالجات كافة، كما انها تعكس مدى ما وصل اليه هؤلاء الأطباء من تطور علمي ومعرفي شهد له كل من اطلع عليه في العصور اللاحقة. لذلك فقد أسهمت تلك المؤلفات في تقدّم المعرفة الطبية مع بقية أطباء العرب المسلمين.

ويطالعنا من بين تلك المؤلفات ، كتب احمد بن ابي الأشعث التي أثنى عليها ابن ابي اصيبعة مبيناً فائدتها وأهميتها بقوله: "وجملة مصنفات احمد بن ابي الأشعث في صناعة الطب وغيرها، كل منها تام في معناه ، لا يوجد له نظير في الجودة "[٤١] ومنها: كتاب في "السرسام والبرسام ومداواتهما "، وهو ثلاث مقالات صنفه لتلميذه محمد بن ثواب الموصلي سنة (٣٥٥هـ/٩٦٥م) وكتاب في (القولنج وأصنافه ومداواته والأدوية النافعة منه "وهو مقالتان ، وكتابان في (الصرع) وكتاب في (الاستسقاء)[*] وكتاب (المالينخوليا)[*][*]، وكتاب في (البرص والبهق ومداواتهما)، وكتاب في (الجدري والحصبة والحميقاء – جدري الماء –) وهو مقالتان لم يصل الينا ، وله كتاب في (ظهور الدم) مقالتان، وآخر في (أمراض المعدة ومداواتهما)، وآخر سمّاه (الغاذي والمغتذي) وهو مقالتان ، صنفه بأرمينية سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م)، تطرق فيه إلى وصف الأدوية واستعمالاتها وتحدث عن النافع منها والضار مع شرح للمفردات الدوائية [٤٢]. كما صنف في الأدوية وتراكيبها ومنها كتاب (تركيب الأدوية) و (الأدوية المفردة)[٤٣] وصنف عمار بن علي الموصلي كتاباً في طب العيون وسمه بـ "المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بلأدوية والحديد "[٤٤]، الذي ترجم إلى اللاتينية، واستخدم في جامعات أوربا كمصدر في طب العيون حتى منتصف (ق١٨م)[٤٥]، واستخدم في تصنيفه الأسلوب العلمي الأكاديمي[٤٦]، كما يتميز بالاستقلالية بمعلوماته وبأصالته وابتكاراته لأنه يتعلق بتجارب المؤلف الشخصية كما أشار إلى ذلك ماكس مايرهوف[٤٧].

وصنف احمد بن محمد البلدي كتابه (تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم) الذي حققه الدكتور محمود الحاج قاسم، وتضمن معلومات تتعلق بعناية الطفل والمرأة الحامل وكيفية معالجة الأمراض فضلاً عن تضمينه آراء الأطباء السابقين والمعاصرين له[٤٨]، كما صنف كتاباً آخر سماه (الجدري والحميقاء)[٤٩].

وصنف علي بن احمد بن هَبَل كتاب (المختارات في الطب)، وصفه ابن ابي اصيبعة بأنه: "كتاب جليل يشتمل على علم وعمل"(٥٠)، وكذلك كتاب (الطب الجمالي) الذي صنفه للوزير جمال الدين الأصفهاني (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م) في مجلد واحد (٥١)، وهو في الطب العام (٥٢)، وكتاب (الآراء والمشاورات) في الطب العام ايضا ، وكتاب "في النار الفارسية " وأسبابها وعلاماتها وعلاجها، وهي مخطوطة(٥٣).

كما صنف كمال الدين بن منعة الموصلي (ت ٦٣٩هـ/١٢٤١م) كتاب "مفردات ألفاظ القانون لابن سينا " شرح من خلاله كتاب القانون (٥٤) وغير ذلك من المصنفات التي وصلتنا او التي أصابها الضياع مع ما ضاع من تراثنا عبر القرون ولم تصل الينا.

سابعاً: شرح كتب الأقدمين

لم يكتف أطباء الموصل بتأليف الكتب الطبية وانما تناولوا كتب الأقدمين بالشرح والإضافة والتصحيح سواء العرب منهم أم الأجانب ، فالانفتاح على الآخرين من الأشخاص والأمم والحضارات الأخرى هو دليل الحيوية والتطور لأن الانغلاق يعني الموت ، فقد كان منهج علماء العرب المسلمين في عصور الازدهار هو الانفتاح على الغير لأخذ ما عندهم مما هو ذو فائدة وإعطاؤهم ما يحتاجونه من العلم والمعرفة، وهكذا حصلت عملية الترجمة التي نالت عناية ورعاية كل ا لعرب والمسلمين على اختلاف مستوياتهم ، ودأب علماء الموصل ومنهم أطباؤها على الانفتاح على الأمم الأخرى للاطلاع على منجزاتها ومن ثم اخذ ما هو صالح وترك غيره، فضلاً عما قام به أولئك الأطباء من شرح وتوضيح للغامض وإصلاح للخطأ وإضافة ما هو غير معروف عند الأمم فزادوا من إبداعاتهم الطبية بسبب ما حصل من تلاقح للأفكار واطلاع على معارف الغير، وممن نهج هذا المنهج من أطباء الموصل:

احمد بن ابي الأشعث، فقد حاول توضيح وشرح كتب من سبقه، فشرح كل كتاب من كتب جالينوس الستة عشر ، وقسّمها إلى أبواب وفصول بشكل لم يسبقه اليه احد غيره، كما يرى ذلك ابن ابي اصيبعة (٥٥)، وكذلك شرحه كتاب (الفرق) ويتكون من مقالتين ، فرغ من شرحه سنة (٣٤٢هـ/٩٥٣م)، فضلاً عن شرحه كتاب (الحميات) لجاليونس ايضا (٥٦)، وابن الأشعث حاول من خلال هذا المشروع ان يمهد الطريق أمام المشتغلين بالطب للاطلاع على هذه الكتب لكي تتوسع مداركهم العلمية، فضلاً عن تسهيل تناولها وفهمها بعد ان قام بترجمتها وشرحها.

جدير بالذكر ان كتاب (القانون في الطب) لأبن سينا كان من بين المصادر التي تناولها علماء الموصل واعتمدوا عليها في مجال الطب ، كما تناولوا هذا الكتاب بالدراسة والشرح ، فقد شرع كمال الد ين بن منعة الموصلي – المار ذكره – بتناول هذا الكتاب ووضح جوانب منه في كتاب آخر صنفه لهذا الغرض، ووسمه بـ: "مفردات ألفاظ القانون لابن سينا"(٥٧).

ثامناً: الأمانة العلمية في الاقتباس من الآخرين

إن الانفتاح على الآخرين هو المنهج الذي سار عليه أطباء الموصل، وه و احد الوسائل التي أسهمت في توسيع مداركهم وتطور علم الطب عندهم كما اشرنا إلى ذلك آنفاً، وهذا حدا بهم إلى الاقتباس واخذ كل معلومة مفيدة صالحة ، وقد اعتمدوا منهجاً علمياً في الاقتباس يصاحبه الاعتراف بجهود الآخرين وعدم ضيا ع حقوقهم، فقد أشاروا إلى الكتب والأشخاص الذين اقتبسوا عنهم، وهذا يعد قمة التطور العلمي والفكري، ومن الأمثلة على ذلك المنهج ، ما قام به احمد بن محمد البلدي ، فقد اطلع على أعمال من سبقه من الأ طباء وضمنّها في كتابه (تدبير الحبالى)، فكان يذك ر اسم الطبيب واسم كتابه الذي اقتبس منه كقوله : "وقال ديسقوريدس في كتاب الحشائش"[٥٨]، او: "قال ابقراط في كتاب الأجنة"[٥٩] او: "وقال ابن سرابيون ٠٠٠"[٦٠] او: "وقال فولس في كتابه في تدبير الصبيان "[٦١]، وقد تكرر ذلك في صفحات كثيرة من الكتاب ولكنه لا يتردد في مناقشة آرائهم او نقدها او تفنيد ما يراه خطأ فيها ، ثم يبدي رأيه في ذلك مع ذكر السبب في كلتا الحالتين[٦٢].

واقتبس ابن هَبَل من الأ طباء الأجانب والعرب عند تأليف كتابه (المختارات) وهو الآخر ذكر من اخذ عنهم والاعتراف بجهودهم العلمية، فقد ورد في مواضع عدة من كتابه ما يشير إلى انه اقتبس منهم سواء في وصف الأمراض او علاجها او ذكر الأدوية، كقوله: "وقال جالينوس ٠٠٠"[٦٣]، او "قال ابقراط ٠٠٠"[٦٤]، وعند وصفه لدواء معين يقول : "٠٠٠ معجون نافع مجرب من تراكيب الرازي "[٦٥]، او كقوله: "واما نحن وما شاهدناه من أستاذنا ٠٠٠"[٦٦] وأستاذه ابي البركات هبة الله بن ملكا الذي دَرَسَ عليه واخذ منه.

وقد يخالف آراء من اخذ عنهم او يتفق معهم مع ذكر الأ سباب في ذلك وهذا ناشئ من استخدامه المنهج التجريبي في صناعته الطبية، فمثلاً خالف الأطباء الذين اخذ عنهم في بعض العلاج ات، فمما ذكره بصدد احد أنواع الأدوية المسمى: "دردبطاريس"، قال عنه : "ويسمى بالسرياني خلفا ء، وقال حنين في تفسيره لكتاب جالينوس في الأدوية هو نوع من الخلاف ، وانا استبعده ، لأن قواه تنافي قوى الخلاف "[٦٧]. وفي اتفاقه مع آراء الأطباء في علاج بعض الأمراض بعد ان يثبت ذلك في التجربة، اذ يقول بصدد إصابة الأشخاص بمرض السل:

"وجالينوس يرى ان انحلال الفرد في الرئة ما دام جراحه لم يكن عن خلط ولا ورم فإنه يبرأ، وهذا صحيح قد جرّبناه خاصة في أصحاب نفث الدم ٠٠٠ وقد رأينا ذلك كثيراً خاصة في النساء"[٦٨].

تاسعاً: الحفاظ على أسرار المرضى

دأب أطباء الموصل كغيرهم من أطباء المسلمين في إتباع نهجاً علمياً وسلوكاً حسناً في عدم إفشاء أسرار المرضى، والاستمرار بكتمان تلك الأمراض، وهو سلوكاً إسلامياً هدفه الحفاظ

على كرامة الإنسان أولاً وكذلك من اجل حماية شخصية المريض ونفسيته ، لكي لا يكون مصدر قلق او إزعاج للآخرين، ومن اجل ذلك كانت تؤخذ منهم العهود في حفظ أسرار المرضى[٦٩].

الخاتمة:

يتبين مما سبق جملة أمور وهي على النحو التالي:

- ❖ إن أطباء الموصل نهجوا نهجاً علمياً سليماً في معالجة المرضى ، وهم لا يقلون شأناً عن أطباء المسلمين.
- ❖ كانوا حريصين على استخدام المنهج التجريبي والأمانة العلمية في ذكر الأدوية وصناعتها.
- ❖ الحفاظ على أسرار المرضى لأنها تعد من أساسيات وواجبات الطبيب.
- ❖ اهتموا بتشخيص الأمراض ثم وصف الدواء اللازم لها، مما يعكس الخبرة الواسعة لديهم.
- ❖ كانت مؤلفاتهم مصدراً لمن جاء بعدهم وترجمت إلى اللغات الأخرى ، مما يشير إلى أهميتها وفائدتها.
- ❖ أصبحت مكانتهم العلمية عالية بين الأطباء فضلاً عن السمعة الحسنة، نظراً لما قدموه من منجزات في مجال التصنيف وتشخيص المرضى وصناعة الأدوية.

الهوامش والمصادر:

(١) ابن ابي اصيبعة، موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت: ١٩٦٥)، ص ٣٣١.

(٢) نفسه، ص ٣٣٣.

(٣) حمارنة، سامي خلف، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، سلسلة منشورات جامعة اليرموك لأحياء التراث العلمي العربي، المطبعة الوطنية، (عمان : ١٩٨٦)، ٢٨٤/١-٢٨٥.

(٤) الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٦٥)، ٣٠٢/١٢.

(٥) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، ط١، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٥) م٣ جـ ٢٩٦/٤.

(٦) عيون الأنباء، ص٤٠٧، ٤٠٨.

(٧) المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ، تحقيق: د. مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد: ١٩٧٧)، ١١٧/٣.

(٨) البلدي، احمد بن محمد بن يحيى، (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، تدبير الحبالى، تحقيق: د. محمود الحاج قاسم ، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٨٧)، ص ٢٢٨، ٢٣٠،

٢٣١. السعفة: قروح تظهر في رؤوس الأطفال والصبيان ويسيل منها سائل ويرافقها حكة . العسلية: القروح التي تصيب رؤوس الأطفال ويجري منها سائل بثخن العسل ولذلك سميت بالعسلية، ويكون ثقبها أكبر من ثقب السعفة . التينية: عبارة عن بثور تظهر في رؤوس الصبيان وهي صلبة مستديرة الشكل فيها احمرار فتكون شبيهة بالتين، وتظهر أيضاً في سائر أنحاء الجسد ويصاحبها وجع. البلدي، تدبير الحبالى، ص ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١.

(٩) نفسه، ص ٣١٢، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٩.

(١٠) ينظر: المختارات في الطب، ط١، (حيدر آباد: ١٣٦٢هـ)، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، ٣/٤ وما بعدها.

(١١) التنوخي ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق : عبود الشالجي ، دار صادر ، (بيروت: ١٩٧١)، ٤/٢٤٠. ابن الجوزي، عبدالرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، نشر الدار الوطنية، (الموصل: ١٩٩٠)، ٧/١٦-١٧.

(١٢) حمارنة، سامي، تاريخ تراث العلوم الطبية، ١/٢٣٩-٢٤٠.

(١٣) نفسه، ١/٢٤٠. والديسانطاريا: الزحار الأميبي الحاد المصحوب بدم أثناء البراز . نفسه، ١/٢٤٠.

(١٤) الموصلي ، عمار بن علي ، المنتخب في علم العين ، نشر : ماكس مايرهو ف، مطبعة برشلونة ، (البرتغال : ١٩٣٧)، (وقد نشر مقتطفات مصورة من المخطوطة ماكس مايرهوف بعنوان: حكايات في قدح الماء)، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(١٥) البلدي، تدبير الحبالى، ص ٧٩.

(١٦) نفسه، ص ٨٠.

(١٧) نفسه، ص ٢٢٩.

(١٨) ينظر: المختارات، ٢/١٥ وما بعدها.

(١٩) المنتخب في علم العين، ص ٢٩٥، ٢٩٧.

(٢٠) نفسه، ص ٢٩٦.

(٢١) نفسه، ص ٢٩٦.

(٢٢) نفسه، ص ٢٩٨ – ٢٩٩.

(23) Meyerhof, The Cataract operations of Ammar Ibn Ali Al-Mawsili. pp.53-54.

(24) Ibid., P.54

(٢٥) ينظر: المختارات: ٣/٩٢، ١٠٧، ١٠٩، ٤/٤٨، ٦٣، ٧٧، ٢١٠، ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢٦) حمارنة، سامي، تاريخ تراث العلوم الطبية، ١/٢٣٩.

(٢٧) المنتخب في علم العين، ص ٢٩٤، ٢٩٦.

(٢٨) تدبير الحبالى، ص ٢٣ (مقدمة المحقق).

(٢٩) نفسه، ص ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩.

(٣٠) نفسه، ص ١٩٠.

(٣١) نفسه، ص ٢٠٨.
(٣٢) نفسه، ص ٣٢١-٣٢٢.
(٣٣) المختارات، ١/١٠٥ وما بعدها.
(٣٤) نفسه، ١/١٩٣، ٢٠٥.
(٣٥) عيون الأنباء، ص ٣٣١.
(٣٦) نفسه، ص ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٦١٣.
(*) السرسام: التهاب السحايا . البرسام: التهاب الغشاء المحيط بالرئة (حمارنة، سامي، تاريخ العلوم الطبية، ١/٤١٩، ٤٣٠.
(٣٧) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء، ص ٦١٣.
(٣٨) القفطي، تاريخ الحكماء، (لايبزك: ١٩٠٣)، ص ٢٣٩. ابن ابي اصيبعة ، عيون الأنباء، ص ٤٠٨. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت: ١٩٥٨)، ص ٢٤١.
(**) سكة ابي نجيح: وهي من المناطق المشهورة في الموصل ، وكان فيها عدد من المدارس ودور الحديث في العصر الاتابكي ، تقع جنوب الموصل بين سوق الم يدان الحالية ومدرسة كمال الدين بن يونس " جامع شيخ الشط الحالي " (الديوه جي ، الموصل في العهد الاتابكي، ص ١٢٦).
(٣٩) ابن الشعار، قلائد الجمان، م ٦ جـ٧ / ٣٠٥.
(٤٠) المنتخب في علم العين، ص ٢٩٦.
(٤١) عيون الأنباء، ص ٣٣١.
(*) الاستسقاء: انتفاخ البطن ونتوء السرة بحيث يسمع منها اذا ضربت صوت كصوت الطبل ، (الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٩٨).
(**) المالينخوليا : وتعني الوسواس ، وهو مر ض عقلي نفساني (تاريخ تراث العلوم الطبية ، ١/٤٣٧).
(٤٢) ابن ابي اصيبعة ، عيون الأنباء، ص ٣٣٢. (توجد نسخة من المغاذي والمغتذي في مكتبة المتحف البريطاني وفي أماكن أخرى من العالم ، انظر : كوركيس عواد ، أقدم المخطوطات في مكتبات العالم ، ص ١٧٢). وانظر : تاريخ تراث العلوم ال طبية ، ١/٢٣٩.
(٤٣) ابن ابي اصيبعة ، عيون الأنباء، ص ٣٣٢، وهو من الكتب المخطوطة والموجودة في المكتبة العامة والوثائق بالرباط وكذلك في المكتبة البريطانية في لندن برقم (١١٦١٥)، انظر: حمارنة، تاريخ تراث العلوم الطبية، ١/٢٣٨.
(٤٤) عيون الأنباء، ص ٥٤٩.
(٤٥) ارنولد، توماس، تراث الإسلام، ١/١٩٤، ٢١٦. وانظر: م.م شريف، الفكر الإسلامي، ص ٨٢.

(٤٦) طب العيون عند العرب، (بحث منشور في المورد)، (بغداد: ١٩٧٥)، م ٤ ع٢ /٥١.

(٤٧) تاريخ تراث العلوم الطبية، ٢٨٤/١-٢٨٥.

(٤٨) محمد، محمود الحاج قاسم ، عرض وتقويم للمؤلفات العربية في طب الأطفال، (بحث مقدم للندوة الطبية العالمية عن الطفل في الطب العربي)، ص ٢٧٤.

(٤٩) تدبير الحبالى، ص ٣٢٣.

(٥٠) عيون الأنباء، ص ٤٠٩.

(٥١) نفسه، ص ٤٠٩.

(٥٢) العلوجي، عبد الحميد، تاريخ الطب العراقي، ص ٤٨٣.

(٥٣) نفسه، ص٤٧٨، ٤٩٨.

النار الفارسية : مرض يصيب الجلد ويصحبه حكة وحرارة قوية لا تحتمل مع ظهور فقاعات مملوءة بالماء كأنها آثار حروق، (انظر: المختارات، ١٩٣/٤).

(٥٤) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤١٢.

(٥٥) نفسه، ص ٣٣١.

(٥٦) نفسه، ص ٣٣٢.

(٥٧) نفسه، ص ٤١٢.

(٥٨) تدبير الحبالى، ص ٨٧.

(٥٩) نفسه، ص ٨٩.

(٦٠) نفسه، ص ٩٣.

(٦١) نفسه، ص ٢٢٧.

(٦٢) نفسه، ص ١٠ (مقدمة المحقق) وانظر: ص ٢٣٣، ٢٤٨، ٣٢٢.

(٦٣) انظر المختارات، ٣٥/٢، ٣٦، ٨١، ١٥٣ و ٦٥/٣، ٩١، و ٣٢/٤.

(٦٤) نفسه، ٥٥/٣، ١٤٣.

(٦٥) نفسه، ١١/٤، ٥٣.

(٦٦) نفسه، ٢٢٠/٣، ٢٣٠، ٣٤٠.

(٦٧) المختارات، ٦١/٢-٦٢.

(٦٨) نفسه، ٢١٧/٣.

(٦٩) نفسه، ٤/١.